

الايديولوجيا القومية بالواقع التي تعبر عنه لا تتميز بالتوافق بل بالملا توافق ، فالايديولوجيا القومية لا تعبر عن « قومية » منجزة بل تدعو اليها ، يسبق « النظر » القومي التحقق المادي للقومية ، وهذه المسافة بين النظر والتحقق هي التي تدفع الاول الى عوالم مثالية متعددة ، فبعض المنظرين القوميون يربطون بين القومية و « الملأ الاعلى » او بينها وبين « روح الزنوجة » او « الروح الابدية الصافية » .

في مسار البحث عن المذات وتحديد الهوية وتلمس الاصول ، يصل بعض مثقفي العالم الثالث الى مشارف الفكر القومي الاوروبي يترجمونه ويستلهمونه عبر موقف ثنائي البعد : يعي البعد الاول الدور التدميري للهيمنة الاستعمارية ، ويبحث البعد الثاني عن اسباب « القوة » الاوروبية . ولقد لعبت الافكار القومية الالمانية الرومانسية دورا كبيرا في تشكيل الافكار القومية في آسيا وافريقيا ، وظهر هذا التأثير واضحا في افكار التركي زياجو كلب Ziago Kalp والعربي ساطع الحصري .

تتسم الايديولوجيا القومية بطبيعة مزدوجة متناقضة داخليا ، فهي تلعب من جهة دورا ايجابيا تاريخيا ابان صراعها المباشر مع الاستعمار ، وتلعب من جهة ثانية دورا سلبيا بعد الاستقلال ، عندما ترفع راية « التقدم القومي » و « المتفرد القومي » ، وهذا يعني أنه لا يمكن معالجة الايديولوجيا القومية ككيان سماوي مجرد ، بل ينبغي ربطها بالطبقات الاجتماعية التي ترفع رايته وبمهامها التاريخية في شرط تاريخي محدد . يسود كل بلد في مراحل مختلفة من تطور حركته القومية ، هذا الجانب او ذاك من الايديولوجيا القومية . بيد أن واقع هذه الحركة يدل على انه بمقدار ما تتطور هذه الحركة تطورا ايجابيا ، وبمقدار ما تنتقل من مرحلة الحصول على الاستقلال السياسي الى مرحلة التحولات الاقتصادية - السياسية والاجتماعية والثقافية ، تتعرض الايديولوجيا القومية الى تغيرات هامة (١١) .

ان تحقيق القومية ماديا لا يتحقق بنشر النظريات القومية بل بتحول اجتماعي يشغل المجتمع بكليته . وهذا الواقع يدفع بالمسألة الى وضع جديد : القومية في « البلدان المتخلفة » او الوعي القومي « والتخلف » . اذا ربطنا سيرورة الظاهرة القومية بالشرط الاقتصادي في آسيا وافريقيا ، امكنا ملاحظة ما يلي :

١ - لا تستطيع العلاقات الاقتصادية في البلدان المستقلة أن تتطور بشكل طبيعي بسبب بنائها المشوه وفاقها المغلقة الحكومة بتبعية بنيانية للاستعمار الكلاسيكي والجديد ، وهذا يعني انها لن تصل في شكلها الحالي مهما بلغ تطوره الى نمط الانتاج الرأسمالي الذي يشكل مرحلة متقدمة في تطور الظاهرة القومية .